وقاله سعيد بن جبير أيضا وقال ابن جرير وقد يحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء قلت
هذا إنما يجيء على قراءة أمّرنا مترفيها قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أمرنا مترفيها
ففسقوا فيها يقول سلطنا أشرارها فعصوا فيها فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب وهو قوله وكذلك
جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وكذا قال أبو العالية ومجاهد والربيع بن أنس وقال
العوفي عن ابن عباس وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها يقول أكثرنا عددهم
وكذا قال عكرمة والحسن والضحاك وقتادة وعن مالك عن الزهري أمرنا مترفيها أكثرنا ٥
وقد استشهد بعضهم بالحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا روح بن عبادة
حدثنا أبو نعامة العدوي عن مسلم بن بديل عن إياس بن زهير عن سويد بن هبيرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال خير مال امرئ له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة ٥ قال الإمام أبو
عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه الغريب المأمورة كثيرة النسل والسكة الطريقة المصطفة
من النخل والمأبورة من التأبير وقال بعضهم إنما جاء هذا متناسبا كقوله مأزورات
غير مأجورات ٥

وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا ٥

يقول تعالى منذرا كفار قريش في تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه قد
أهلك أمما من المكذبين للرسل من بعد نوح ودل بهذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح
على الإسلام كما قاله ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ومعناه
أنكم أيها المكذبون لستم أكرم على الله منهم وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلائق فعقوبتكم
أولى وأحرى وقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا أي هو عالم بجميع أعمالهم خيرها
وشرها لا يخفى عليه منها خافية ٥

من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد
الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا

يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له بل إنما يحصل
لمن أراد الله ما يشاء وهذه مقيدة لإطلاق ما سواها من الآيات فإنه قال عجلنا له فيها ما
نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها أي يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه مذموما أي في حال
كونه مذموما على سوء تصرفه وصنيعه إذ اختار الفاني على الباقي مدحورا مبعدا مقصيا حقيرا

ذلك لأنها. قال الإمام أحمد حدثنا حسين حدثنا ذويد عن أبي إسحاق عن زرعة
عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال
له ولها يجمع من لا عقل له ٥ وقوله ومن أراد الآخرة أي الدار الآخرة وما
فيها من النعيم والسرور وسعى لها سعيها أي طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول صلى الله
عليه وسلم وهو مؤمن أي وقلبه مؤمن أي مصدق موقن بالثواب والجزاء فأولئك كان
سعيهم مشكورا ٥

كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء
ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض
وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ٥

يقول تعالى كلا أي كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا
الآخرة نمدهم فيما هم فيه من عطاء ربك أي هو المتصرف الحاكم الذي لا يجور فيعطي كلا ما
يستحقه من الشقاوة والسعادة ولا راد لحكمه ولا مانع لما أعطى ولا مغير لما أراد ولهذا قال
وما كان عطاء ربك محظورا أي منقوصا ممنوعا أي لا يمنعه أحد ولا يرده راد قال قتادة
وما كان عطاء ربك محظورا أي منقوصا وقال الحسن وابن جريج وابن زيد ممنوعا
ثم قال تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض أي في الدنيا فمنهم الغني والفقير
وبين ذلك والحسن والقبيح وبين ذلك ومن يموت صغيرا ومن يعمر حتى يبقى شيخا كبيرا
وبين ذلك وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا أي ولتفاوتهم في الدار الآخرة أكبر من الدنيا
فإن منهم من يكون في الدركات في جهنم وسلاسلها وأغلالها ومنهم من يكون في الدرجات
العلى ونعيمها وسرورها ثم أهل الدركات متفاوتون فيما هم فيه كما أن أهل الدرجات
متفاوتون فإن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وفي الصحيحين
أن أهل الدرجات العلى في الجنة ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء ولهذا
قال تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ٥ وفي الطبراني من رواية زاذان
عن سلمان مرفوعا ما من عبد يريد أن يرتفع في الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله
في الآخرة أكبر منها ثم قرأ قوله تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ٥

لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا

يقول تعالى والمراد المكلفون من الأمة لا تجعل أيها المكلف في عبادتك له شريكا
فتقعد مذموما أي على إشراكك به مخذولا لأن الرب تعالى لا ينصرك بل يكلك إلى الذي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)